

طرائق التعليم الجامعي بين التقليد والتحديث

د . الصغير عبد القادر باحمي *

التمهيد:

تطرح قضية تطوير التعليم اليوم في مختلف دول العالم المتقدمة منها والنامية بهدف تحديث برامجه وتطوير طرائق ووسائل تنفيذها وتوفير جميع الامكانيات المادية والبشرية التي تؤدي الى تنمية كفايات المعلمين والرفع بالتالي من مستوى تحصيل المتعلمين .

وفي هذا الاطار اهتم الباحثون في مختلف المراكز والمؤسسات البحثية بدراسة وتطوير طرائق التعليم باعتبارها عنصرا هاما من عناصر المنهج التعليمي وعليها يتوقف نجاح كل من المعلم والمتعلم في توجيه العملية التعليمية وجهة ايجابية فعالة ومؤثرة .
ويسهل على المرء أن يجد في برامج جامعاتنا كل المعلومات المتعلقة بفلسفة وأهداف كلياتها وعدد أقسامها والمواد المقررة لطلابها مفصلة بمفرداتها ومرتبطة حسب أهميتها وأولوية دراستها. ولكن يصعب عليه أن يجد معلومات تخص طرائق تنفيذ تلك البرامج برغم أهميتها التي ينعكس اثرها سلبا أو ايجابا على كل من الاساتذة والطلاب والمجتمع بصفة عامة .

وقد اكدت نتائج البحث العلمي في مجالي التربية وعلم النفس على مجموعة من الحقائق التي كان لها أثر بالغ في زيادة الاهتمام بطرائق التعليم وتحديثها منها : أن المعلم الجيد يصنع ولا يولد وأن التدريس ليس موهبة فطرية وانما هو علم له أصوله وقواعده التي تكتسب بالدراسة والممارسة العملية بالاضافة الى انه لم يعد عملية نقل للمعلومات من المعلم الى المتعلم وانما اصبح عملية تفاعل وتأثير وتأثر يقوم فيها المعلم بدور الموجه والمنظم والمنشط بل إن نتائج البحث العلمي لتؤكد على انه لا أهداف تعليمية تحقق ولا محتوى دراسي يعلم ولا أنشطة طلابية تنفذ بدون طرائق تعليمية ملائمة تستخدم .

وفي جامعاتنا العربية اليوم أنواع مختلفة من أعضاء هيئات التدريس الذين تأهلوا أكاديميا في جامعات شرقية وغربية ، بعضهم يعتقد أن مجرد الحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه يعنى القدرة على التدريس بكفاية أو أن اتقان الاساتذ لماده تخصصه كاف لتدريسها

* استاذ مشارك، كلية التربية ، جامعة الفاتح ، الجماهيرية .

بل إن بعضهم قد ذهب الي أبعد من ذلك فرأى المواد المهنية التربوية لا اهمية لها في برنامج اعداد الاستاذ الجامعي بحجة أن التدريس (موهبة) أو (خبرة) تكتسب بالممارسة عبر الزمن ، وان الحرية الاكاديمية التي يتمتعون بها تمنحهم فرصة التدريس بدون أصول أو قواعد محددة، وعليه فإن نسبا عالية منهم يحاضرون بطريقة تقليدية تلقينية كما دلت على ذلك نتائج عدد من الدراسات العلمية . ولا عجب في القول بأن بعض الأساتذة يعارضون التحديث في طرائق تدريسهم بل ويظهرون الشك في أهمية القدرة اللغوية على العملية التعليمية والتربوية ويضعونها في المرتبة الأدنى من مستوى إعدادهم العلمي . وليس غريبا أن سمع من يرتكب منهم خطأ لغويا : يقول انه ليس متخصصا في اللغة العربية ، متناسيا أو متجاهلا انه لا يمكن ان يكون أستاذا مبدعا أو محاضرا فاعلا ومؤثرا إذا لم يمتلك وسيلة اتصال لغوية قوية يصل بها إلي أن التعليم الجامعي المبدع ينطوى على مجموعتين من المهارات أولهما " القدرة الكلامية وتشمل الابداع في القاء محاضرات واضحة ومثيرة للتفكير والقدرة على ادارة النقاش حولها . وثانيهما المهارات الشخصية البينية التي تعين الأستاذ على إيجاد نوع من العلاقات الحميمة الدافئة بينه وبين طلابه مما يحفزهم بالتالي إلي العمل بشكل مستقل، ويتعين على المرء لكي يصبح مدرسا بارعا أن يكون متميزا في واحدة من هاتين المجموعتين المهاريتين وأن يكون مؤهلا في الأخرى على الأقل (1) .

وحيثما يكون الأستاذ كذلك يمكن أن نتوقع حدوث أنماط عديدة من التعلم مثل الحقائق والتعميمات وأساليب التفكير الناقد وإدراك العلاقات بين مختلف الظواهر.

ولقد اتجهت الجامعات العربية الي استحداث برامج تدريبية لبعض الآساتذة على طرائق التعليم ووسائله وكانت جامعة القاهرة رائدة في ذلك حيث بدأت سنة 1974 م في تطبيق برامجها التدريبية (2). وتم تعديل قانون الجامعات المصرية لينص على ضرورة اشتراك المعيددين في دورات تدريبية على طرائق التعليم بالجامعات قبل تعيينهم أساتذة دائمين .

الدراسة الثانية :-

نال موضوع طرائق التعليم الجامعي اهتمام الباحثين في مختلف بلاد العالم وأجريت دراسات عديدة حول طبيعة ونوعية تلك الطرائق وجاءت معظم النتائج تشير الي أن المحاضرة تعتبر من أقدم طرائق التعليم الجامعي (3) . وهي الطريقة السائدة في التدريس في الجامعات العربية

وبخاصة في مجال الدراسات الانسانية بل وفي مجال العلوم الطبيعية حيث تستخدم المحاضرة التجارب ونتائجها وتذكر القوانين والنظريات بدون ممارسات عملية .

وفي الجماهيرية الليبية لوحظ أن الأساليب التقليدية في المحاضرة هي السائدة في التعليم الجامعي وأن التطبيقات العلمية لا تنال الاهتمام الكافي مما يقلل من استفادة الطلاب من البرنامج التعليمي وعليه فقد أجريت دراسة تقويمية (4) حول أساليب التدريس والتدريب في أقسام الهندسة الميكانيكية والصناعية والهندسة الكهربائية والإلكترونية والهندسة المدنية بكلية الهندسة/ جامعة الفاتح . وتهدف الدراسة ضمن ما تهدف اليه الي تحديد مدى استخدام طرائق حديثه مثل حل المشكلات والتعلم الذاتي وحلقات النقاش ودراسة الحالات في تعليم الطلاب .

وقد دلت نتائج الدراسة على أن المحاضرة التقليدية هي السائدة في التدريس بالأقسام المذكوره حيث أشار أكثر من 90 ٪ من افراد مجتمع البحث (أساتذة وطلاب وخريجون) الي أن الأساتذة يستخدمون فعلا هذه الطريقة بدرجة عالية .

أما فيما يتعلق بإشراك الطلاب في إعداد المحاضرة ومناقشتها فقد أجاب أكثر من 80٪ من أفراد مجتمع البحث بأن الأساتذة لا يشركون الطلاب في اعداد المحاضرة ومناقشتها وهذا يعني أن دور الطلاب في العملية التعليمية سلبي بدرجة كبيرة مما يترتب عليه وضعهم في قالب مغلق ومحدد .

أما فيما يختص باستخدام الطرائق الحديثة كحل المشكلات وحلقات النقاش ودراسة الحالات فقد أثبتت نتائج الدراسة أن نسبة عالية من الأساتذة لا يستخدم تلك الطرائق الا بدرجات قليلة مما يقلل الفرص المتاحة للطلاب لتحمل مسئولياتهم في العملية التعليمية وفي ممارسة الاسلوب العلمي والتفكير الناقد وتنمية الاتجاهات الابداعية.

وفي مصر نشرت جريدة الأهرام الصادرة في يوم 28-3-92م (ص 10) تصريحاً لوزير التعليم يقول :- إنه تقرر إعادة النظر في المناهج الدراسية التي تدرس لطلاب الجامعات ولا تساير العصر وتعتمد على الحفظ والتلقين ونماذج الأسئلة التي لا تخرج لنا رجالاً قادرين على الابتكار والتطوير (5) . وفي هذا إشارة صريحة إلى أن التعليم الجامعي يعتمد على الطرائق التقليدية بدرجة كبيرة ، وفي نفس العدد من الجريدة السابقة (ص 8) كتب رئيس جامعة الاسكندرية مقالا بعنوان تطوير التعليم الجامعي ، ينصح فيه الخبراء المعنيين بعملية تطوير التعليم وتجنب الاعتماد على حشو العقول بكم من المعلومات الجاهزة والاعتماد في هذه العملية

على اعداد العقول المتسائلة . ولا شك أن ذلك لا يمكن أن يتحقق الا باستخدام طرائق حديثة تثير تفكير الطلاب وتدفعهم الي البحث والتقصي وجمع المعلومات واستخلاص النتائج .

وفي البحرين أجريت دراسة تحليلية (6) لأساليب تقديم المحاضرة بجامعة البحرين . وقد دلت نتائجها على انه لا يوجد اسلوب تدريسي شائع لدى الأساتذة الجامعيين وان جاءت النتائج مشيرة الي أن أكثر الأساليب استخداما هو أسلوب المحاضرة الهادفة. كما دلت النتائج على أن نسبة عالية من الأساتذة الجامعيين لا يزودون طلابهم بقائمة الموضوعات الرئيسة التي تناقش في المحاضرة ولا يوضحون محتواها في بدايتها أو يلخصون في نهايتها أهم النقاط الواردة فيها.

وعلى مستوى الوطن العربي أجريت دراسة ميدانية (7) تهدف الي التعرف على آراء مجموعة من أساتذة الجامعات العربية في دور التعليم الجامعي في تنمية التفكير العلمي لدى الطلاب العرب وفي أساليب تطويره وتحقيق رسالته الثقافية والحضارية والتعليمية.

وقد دلت نتائج الدراسة على أن 66% من أفراد مجتمع البحث يعتقدون أن طرائق التعليم تعتبر من العوامل المعوقة لدور التعليم الجامعي في تنمية التفكير العلمي. كما أوضحت تلك النتائج أن نسبة عالية من الأساتذة ترى ضرورة تقليل الاعتماد على طريقة المحاضرة التقليدية وتقتصر استخدام الطرائق الحديثة مثل الحلقات الدراسية والإشراف الفردي بالاضافة الي تقديم مشكلات حقيقية من واقع المجتمع وذلك لبعث الاهتمام بها لكونها نموذجا مما سيواجه الطالب في حياته العلمية.

تحديث المحاضرة الجامعية :-

من الحقائق السابقة نستخلص أن المحاضرة التقليدية تعتبر من أكثر طرائق التعليم استخداما في كثير من الجامعات العربية ، وهي طريقة أضحت عتيقة بعد انتشار الكتب وغيرها من المصادر المتعددة للحصول على المعلومات ، بل إنها تعتبر للكثيرين . (ديناصورا) قادمة من العصر السابق حينما كانت الكتب نادرة أو معدومة ، وكانت المحاضرة الأسلوب الأول الذي يمكن الطلبة من الحصول على المعلومات - قادمة إلي هذا العصر التقني . وبالنسبة للبعض

تمثل المحاضرة (اللحظة الأسوأ) في التعليم الجامعي حيث تثير الصراع من أجل الاستيقاظ في الوقت الذي يتحدث فيه أستاذ عن بعد برتابة ورأسه مدفونة في أوراق ملاحظاته الصفراء. (8).

لعل في هذا شيئاً من الصدق ، فالمحاضرة عندما تكون هزيلة فإنها تجلب الملل والنعاس الي الطلاب ، ومع ذلك فإنها تعتبر اليوم - برغم نقائصها - هي الطريقة السائدة في التعليم الجامعي بدرجة تجعل المرء لا يسمع من الطلاب والأساتذة الا من يستخدم كلمة (محاضرة) للتعبير عن محتوى كل ما يقدم من المعلومات في القاعات والمدرجات الجامعية .

إن التعليم الجامعي في بلادنا العربية قد ارتبط منذ نشأته بمفهوم المحاضرات الذي استمر وامتد عبر الزمن برغم حركات التطوير والتحديث التي أدت إلي اقتراح واستخدام طرائق تعليمية أخرى عديدة ، ويرجع السبب في ذلك إلي مجموعة من العوامل المتداخلة والتي تبدو فيما للمحاضرة من مزايا اقتصادية بالنسبة لتدريس المجموعات الكبيرة والتي أن كثيراً من الطلاب وبخاصة أولئك القادرين منهم على الحفظ قد يفضلون المحاضرات على غيرها من طرائق التعليم بالإضافة إلي ملاءمة المحاضرة لأذواق وأمزجة بعض الأساتذة المحافظين .

أما الي متى ستبقي المحاضرة شائعة الاستخدام فيمكن القول بأن المعطيات الحالية والمتمثلة في ازدياد عدد الطلاب الملتحقين بالكلية الجامعية وارتفاع كثافتهم في القاعات الدراسية مع عدم توفر الكفايات المهنية وقلة الامكانيات المادية وقيود النظم واللوائح الادارية كلها علامات تشير الي أن التعليم الجامعي سيعتمد بالدرجة الاولى على المحاضرة التي ستظل طريقة "مقبولة" وذلك لسبب بسيط هو " أن الانسان سيظل يتقبل الحديث الي من يرافق المتحدث معه". (9) ولكن أي حديث ؟ لاشك أن الحديث الواضح ، المثير والمفيد سيلقي أذانا صاغية وعقولا متقبلة ونفوسا راضية وعكس ذلك بالتأكيد صحيح .

لقد انتقدت المحاضرة التقليدية في السنوات الاخيرة لاسباب عديدة منها انها تشجع على الحفظ ولا تتيح للطالب فرصة الاتصال بالمحاضر لبدء الرأي أو الاستيضاح بالإضافة الي تقديمها معلومات لا تتجاوز المستوى الأدنى من السلم المعرفي وعليه فقد تعالت أصوات المصلحين وتوالت توصيات الباحثين وتنادت جموع المؤتمرين لتطوير محتوى التعليم الجامعي وتحديث طرائق ووسائل تنفيذ برامجه انطلاقاً من واقعنا وذاتيتنا العربية وبالتعاون مع الآخرين والانفتاح على

تجاربهم والاستفادة من خبراتهم . وقد أسفرت هذه الجهود على محاولات لتحديث المحاضرة التقليدية لعل أهمها ما يمكن أن يكون ضمن اطار الطريقة الاستقصائية . (10) وهي طريقة تتطلب اتباع خطوات عديدة تبدأ بتحديد مشكلة الدراسة وتنتهي باستخلاص النتائج مروراً بوضع الفرضيات واختبار صحتها بعد جمع المعلومات المتعلقة بها.

ولا يفهم من هذا أبداً أن الأستاذ المحاضر يجب أن يمر بجميع هذه الخطوات التي أن يصل الي حلول يقدمها لطلابه دون مشاركتهم الايجابية ، وإنما يمكن أن يطرح في بداية المحاضرة أسئلة تكون بمثابة مشكلات تتطلب حلاً ثم يوضح الخطوط العريضة للمحاضرة مشيراً الي الدراسات السابقة حولها ويوجه في النهاية طلابه الي أهم المراجع للاستزاده والاستفادة . وربما يكون أكثر أهمية تنبيه الطلاب الي تجنب التحيز الي استنتاجاتهم الخاصة أو الاعتقاد بصحة اجابات محدوده لمجرد أن الأستاذ المحاضر يعتقد ذلك ، بل يجب تشجيعهم على تقويم جميع الاجابات مقارنة بغيرها واتخاذ قرار سليم مبني على جهودهم في جمع المعلومات المتعلقة بموضوع المحاضرة . وبهذا الدمج بين المحاضرة والاستقصاء يمكن أن تكون المحاضرة مثيرة ومفيدة للطلاب . وبهذا ايضا يمكن أن تكون أفضل نصيحة تقدم الي من يود تحديث محاضراته هي أن تقول له " لاتلق محاضرة" وإنما تحدث الي مستمعك ووجه نشاطهم بدلا من القاء خطاب عليهم ، واستخدم من الوسائل مايجعل الحديث حيا ، واضحا، مثيراً وأبقى أثراً.

وفي اطار التحديث أيضا بدلت محاولات لتقسيم المحاضرة الي أنواع عديدة منها:-
المحاضرة - البحث - المحاضرة - المختبر - المحاضرة - الانشاء - المحاضرة - التوضيح - ومحاضرة مجموعة القضايا (11).

كما صنف المحاضرات ايضا الي :- المحاضرة التفسيرية ، المحاضرة المثيرة ، المحاضرة التطبيقية ، المحاضرة التلاوة، والمحاضرة المختبره (12) ولمزيد من التوضيح يمكن تصنيف المحاضرات في هذا البحث الي مايلي:-

1- محاضرة الالقاء:- وهي التي يتم فيها القاء الأستاذ للمعلومات التي جمعها حول موضوع المحاضرة مباشرة للطلاب بدون مناقشة.

2- محاضرة الاملاء:- وهي التي يستخدم فيها الأستاذ الجزء الأكبر من وقت المحاضرة وربما كله - في املء محتوى الموضوع على طلابه.

3- محاضرة المناقشة:- وفيها تطرح أسئلة من الأستاذ أو الطلاب لمناقشة بعض المفاهيم أو

القضايا الخاصة بالمحاضرة ، وتعطي الفرصة للطلاب للإجابة أو ابداء الرأي .

4- محاضر اللوحة الطباشيرية :- وهي التي يستعين فيها المحاضر بلوحة القاعة أو المدرج

لتوضيح بعض المسائل المتعلقة بموضوع المحاضرة .

5- محاضرة العرض التوضيحي :- وتستخدم عادة في توضيح موضوع عملي كإجراء تجربة

أو تشغيل جهاز أو آلة تعليمية معينة ، أو كيفية تصنيف عينات أو تصميم نماذج ، أو

غير ذلك.

6- محاضرة الشرائح الشفافة:- ويستعين فيها المحاضر بمجموعة من الشرائح لتوضيح بعض

الظواهر الخاصة بموضوع المحاضرة.

ولكي تكون المحاضرة مثيرة ومفيدة يجب أن يبتعد بها الأستاذ عن الاملاء أو الإلقاء ويقحم

طلابه في مناقشة محتواها مع الاستعانة بتقنيات تعليمية في توضيح معلوماتها كلما استطاع إلي

ذلك سبيلا . وهنا تحضرني قصة الأستاذ الذي دخل قاعة الدرس ومعه محاضرة أعدها على بطاقات

ملاحظاته ، وبعد مضي بضع دقائق توقف الأستاذ فجأة وقال " ان كان هذا ما تنظرونه فعلا من هذه

المحاضرة فأني أقترح عليكم أن تغيروا حساباتكم الآن " ، ثم مزق البطاقات وقذفها في سلة

المهملات وعاد الي المحادثه الحيه التي تميز بها أسلوبه في التعليم.

خصائص المحاضرة الجيدة :-

إن المحاضرة الجامعية كغيرها من أنواع المحاضرات يمكن أن تكون واضحة وممتعة ومفيدة ،

كما يمكن أن تكون غامضة ، مملة وهزيلة ولكي تكون من النوع الاول يجب أن تتوفر فيها

خصائص يمكن ايجازها في الآتي :-

1- أن تحدد أهدافها وتصاغ في جمل واضحة.

2- أن يصاغ موضوعها وتحدد عناصرها بوضوح ، ويفضل أن تكون في أسئلة توزع على

الطلاب لتقودهم الي اجابات محددة .

3- أن تكون مثيرة في محتواها وفي الوسائل والأدوات المستخدمة فيها مما يساعد على إثارة

نقاش بين الطلاب أو بينهم وبين المحاضر.

- 4- أن يشجع محتواها على صياغة فرضيات وتوضيح أفكار وضرب أمثلة ونقد أدلة واقتراح بدائل للحلول المطروحة.
- 5- أن يتفق محتواها مع الزمن المخصص لها، فمحاولة نغطية مسائل كثيرة يجعل معالجتها سطحية وعرضها سريعا واستيعابها عسيرا.
- 6- أن تهتم بتقديم معلومات جديدة أو حقائق وأمثلة غير واضحة أو واردة بالكتاب الأساس للطلاب.
- 7- أن تركز على عرض وجهات النظر وإدراك العلاقات بين الظواهر بما يبعد الطلاب على الحفظ ويمكنهم من التحليل والتفسير والمقارنة والاستنتاج.
- 8- أن تراعي عمق الموضوع بدرجة تتلاءم ومستوى الطلاب فلا يجب أن تكون بسيطة وهزيلة حتى تجعل الطلاب لا يتعلمون منها شيئا جديدا ولا معقدة ومزدحمة بمعلومات يصعب فهمها واستيعاب محتواها.
- 9- أن يستعان في تقديمها بأساليب متنوعة مثل الحوار والاستقصاء والاستقراء وحل المشكلات وغيرها حتى يبعد المحاضر الملل من نفوس الطلاب ويبعث فيهم الشوق والرغبة في الاستمرار.
- 10- أن تتضمن مادة مرتجلة بصوت واضح متناغم ومعتدل السرعة حتى يتمكن الطلاب من تسجيل ملاحظاتهم.
- 11- أن تحدد المراجع والمصادر المتعلقة بمحتواها حتى يتمكن الطلاب من الرجوع إليها للاستزادة والاستفادة.
- 12- أن تنتهي بخلاصة أو نتيجة أو إجابات عن الأسئلة المطروحة أو بتوضيح العلاقة بينها وبين ما سيطرح في المحاضرة القادمة.

عوائق التحديث:-

لا جدال في القول بأنه يوجد في جامعاتنا العربية - وبخاصة بعض الكليات التي أنشئت حديثا- عدد من الأساتذة الذين ينقصهم الاعداد المهني بل منهم من لم يتلق مثل هذا الاعداد أبدا ، ومنهم من تم تعيينه أو التعاقد معه لعدم وجود كفايات لملء الفراغات التي حدثت في السنوات الأخيرة نتيجة للتوسع الهائل في عدد الكليات والأقسام والتخصصات .

.....

ولا جدال أيضا في وجود أساتذة يتمتعون بمعرفة واسعة وخبرة عالية وسمعة طيبة على المستويات المحلية والقومية والعالمية . وهؤلاء ومن سبقت الإشارة اليهم - إن تأهلوا تربويا - قادرون على تحديث طرائق تعليمهم ولكنهم مقيدون بعوائق عديدة يمكن تصنيفها الي عوائق الكثافة الطلابية ، الكفايات المهنية ، النظم واللوائح الادارية ، والامكانيات المادية.

1- الكثافة الطلابية :-

تختلف الكثافة الطلابية في الجامعات العربية من كلية إلى أخرى ومن قسم إلى آخر بل حتى من أستاذ إلى آخر. الكليات التي تعمل بنظام الفصل الدراسي الذي يختار فيه الطالب المادة والأستاذ والزمان بل والمكان. وفي السنوات الأخيرة عرف التعليم الجامعي تقدما كميا متزايدا حيث يضم اليوم ملايين الطلاب ، ومن المتوقع أن يصل عددهم بحلول سنة 2000 إلى حوالي 65 مليون طالب .(13)

ونتيجة لضخامة الأعداد الحالية أصبح الطلاب في بعض الكليات يتجمعون بالمئات وقفا وجلوسا . في ممرات قاعات لاتتسع إلا لعشرات ، مما يؤثر سلبا في مستوى تحصيلهم العلمي، ويقلل من فرصة الاستفادة من قدرات الأساتذة في توزيع طرائق تعليمهم ، فضلا عن انعدام الاتصال الشخصي المباشر بين الأساتذة والطلاب والذي يجب أن يكون مستمرا ومفيدا ولا أدعي الأتيان بجديد في قولي بأن التركيز على الجانب الكمي أكثر من الكيفي في التعليم الجامعي يعتبر خسارة مادية واقتصادية كبيرة ، وإن أي توسع في التعليم لا يرتبط بحاجات المجتمع هو توسع ضار أكثر مما هو مفيد وأفضل نتائجه بلا شك تتمثل في تخريج متعلمين عاطلين عن العمل ولا يمثلون سوى مصدر قلق وازعاج لأنفسهم ولمجتمعهم.

وتشير نتائج البحث العلمي من خلال مقارنة تحصيل الطلاب في كل من المجموعات الصغيرة والكبيرة إلى أنه بإمكان الطلاب أن يحققوا أهدافا كثيرة في المجموعات الصغيرة والكبيرة على السواء ، إذ لا تختلف علاماتهم في الامتحانات النهائية بسبب حجم المجموعة ، ولكن طلاب المجموعات الكبيرة لا يستطيعون تحقيق الأهداف التي تعالج من خلال النقاش مثل التفكير الناقد والتغير في الاتجاه .(14) كما تدل النتائج على أن المجموعات الكبيرة أقل جدوى وفاعلية من الصغيرة بالنسبة للطلاب الذين يحتاجون الي اهتمام شخصي من قبل الأساتذة كي

يقوموا بدورهم على أفضل وجه. أما الطلاب الاتكاليون الضعفاء أكاديميا والذين تنقصهم الدفاعية الكافية فلا يعملون جيدا في المجموعات الكبيرة، وبالتالي فإن هذه المجموعات ليست مجدية أو فاعلة كالمجموعات الصغيرة لنسبة ملحوظة من الطلاب .

2. الأساتذة الجامعيون

يعتقد بعض أساتذة الجامعات أن طرائق التعليم يمكن اكتسابها بالممارسة الفعلية للتدريس ، وقد يكون ذلك صحيحا اذا أفترنت الممارسة بقراءات واسعة في أصول التدريس ومع ذلك فإن التدريس المبدع يعتبر فنا وعلما له أصوله وقواعده التي توصل اليها الباحثون في مجالي التربية وعلم النفس من خلال تجاربهم العلمية التي تؤكد على ضرورة تمكن الأساتذة من السيطرة على كل من تخصصاتهم والمهارات التي يفرضها تعليمها وذلك من خلال برنامج منظم يدخل ضمن نطاق اعدادهم وتكوينهم المهني ، هذه الحقيقة تقودنا الي التمييز بين مفهومي " الأعداد الأكاديمي " و"التكوين المهني" حيث إن المفهوم الأول يدل فقط على المستوى العلمي أو التخصص للأستاذ في حين أن الثاني يدل على تمكن الأستاذ من المهارات المتعلقة بتدريس تخصصه . وعليه فإن المتخصص في مادة معينة ليس بالضرورة أن يكون أستاذا متميزا فيها.

لقد أصبح مجال طرائق التعليم تخصصا دقيقا يتطلب دراسة عميقة لعدد من المواد التربوية والنفسية ، وقد عم هذا التخصص وانتشر في معظم جامعات العالم وحظي بغيره من المجالات باهتمام الباحثين والدارسين .

وعلى الرغم من ذلك فإن معظم أساتذة الجامعات العربية لم يتلقوا اعدادا مهنيا يؤهلهم لرفق كفاياتهم التدريسية بل ان مادتي طرائق التعليم والتربية العملية ليس لهما وجود الا في كليات التربية . وهي ان وجدت في بعض الكليات الأخرى ككلية العلوم مثلا فانها تعتبر أقل أهمية من المواد الأساسية في نظر الطلاب والأساتذة والاداريين مما يدفع الطلاب أنفسهم الي الاقتداء ببعض أساتذتهم في الاستخفاف بها والتقليل من ضرورتها وأهميتها في إعدادهم وتكوينهم.

وفي السنوات الأخيرة استحدثت بعض الجامعات العربية برامج تدريبية تربوية لأعضاء هيئة التدريس الجدد بها، ولعل أحدث هذه البرامج ماتم تنفيذه في جامعة اليرموك بالاردن حيث ورد نشره صادره في شباط 1992م عن دائرة العلاقات العامه بجامعة اليرموك مايف:

افتتاح دورة تدريبية لأعضاء هيئة التدريس الجدد بالجامعة ، وتهدف الي تعريف المتخرجين حديثا بالمبادئ العامة للتربية في معناها الخاص واطلاعهم على الأفكار والمستجدات الخاصة بالعملية التعليمية لتطويرها والرفي بها بما يخدم أهداف الجامعة . ويتضمن برنامج الدورة موضوعات حول اعداد خطط مسافات تناسب تباين تخصصات المشاركين ، وطرائق التعليم والتفاعل الصفوي والتفوييم بأنواعه بالاضافة الي كيفية انتاج واستخدام الوسائل التعليمية. كما يتضمن موضوعات حول الارشا الأكاديمي للطلاب وأصول البحث العلمي وأخلاقيات مهنة انتعليم الجامعي.(15)

وقد أشار رئيس الجامعة في افتتاحه للدورة الي أمله في أن يكون هذا البرنامج مفتوحا ومستمرا للسنوات القادمة لاتاحة الفرصة لجميع أعضاء هيئة التدريس للمشاركة فيه وذلك للتجاور وتبادل الرأي حول تطوير العملية التعليمية.

3- النظم واللوائح الإدارية :-

يتطلب تنفيذ أوجه النشاط المتعلقة بالتعليم الجامعي مرونة في الاجراءات الادارية. فالنظم واللوائح المعمول بها في الجامعة قد تساعد الأستاذ وتشجعه على إبراز مهاراته وتسخير قدراته في إفادة طلابه، كما أنها قد تكون عائقا له ولطلابيه عندما تتسم بالتصلب والجمود والمركزية بمعنى أن نجاح الأستاذ أو اخفاقه في تحديث طرائق ووسائل تعليم طلابه قد يتوقف بدرجة كبيرة على الطريقة التي يدار بها القسم أو الكلية التي ينتمي اليها.

ففي بعض الجامعات العربية يقوم الأستاذ باجراء اتصالات عديدة ومراسلات معقدة للحصول على سيولة مالية لشراء مستلزمات تعليمية أو للقيام بدراسة ميدانية أو ما الي ذلك من الانشطة المتعلقة بمادة تخصصه . وفي حالة إخفاقه يضطر إلي تأجيل برنامجه أو صرف النظر عنه ، ويكون الطلاب بذلك دائما هم المحرومون ، وأفراد المجتمع بالتالي هم الخاسرون.

وترتبط بالنظم واللوائح الادارية في بعض الجامعات زيادة عدد ساعات التدريس بالنسبة للأستاذة مع إرهابهم بتدريس أعداد كبيرة من الطلاب وتصحيح كم هائل من كراسات الاجابة ، بالاضافة إلي تكليفهم بالاشراف على طلاب الدراسات العليا والقيام بأعمال أخرى مختلفة مما يؤثر سلبا على عطائهم وابداعهم في القيام بواجباتهم التدريسية.

يتطلب تحديث طرائق التعليم امكانيات مادية وفيرة تتمثل في أدوات تعليمية وتجهيزات معملية ومختبرية، ومكتبة غنية بكتب مرجعية ودوريات متخصصة وأشرطة مسموعة ومرئية بالإضافة إلى وسائل نقل للقيام بدراسات ميدانية وغير ذلك مما يمكن أن يدرج في قائمة الامكانيات المادية. ويعتبر نقص هذه الامكانيات في بعض الجامعات العربية عائقا يخدم حماس الأساتذة في تحديث طرائق تعليم طلابهم ويجبرهم على الاعتماد على استخدام طريقة المحاضرة الالقائية أو ربما الاملائية كما دلت على ذلك بعض الدراسات العلمية التي سبقت الإشارة إليها. اذ كيف يستطيع الأستاذ أن يبدع في بيئة تفتقر إلى أبسط الامكانيات التي تساعد الطلاب على إجراء التجارب المعملية أو القيام بدراسات ميدانية أو عروض عملية أو غيرها من أوجه النشاط التي تمكنهم من تحويل معلوماتهم النظرية إلى تطبيقات عملية. ولا عجب في القول بأن طلاب بعض أقسام العلوم الإنسانية يكملون دراستهم بمعلومات نظرية، ولم يتمكنوا أبدا من اكتساب الخبرة المباشرة من خلال رحلات علمية أو مشاهدات بيئية، بل لم يستفيدوا من أبسط التقنيات التعليمية كالأشرطة المرئية المتعلقة بموضوعاتهم الدراسية.

نتيجة لذلك عقدت مؤتمرات تربوية وأجريت دراسات علمية انتهت بتوصيات تؤكد على ضرورة تطوير التعليم الجامعي. وتعتبر توصيات المؤتمر الأول للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في الجزائر في مايو 1981م من بين تلك التوصيات التي ورد فيها ما يحث على "دعوة الجامعات ومؤسسات التعليم العالي إلى مزيد من المرونة في مناهجها وطرائق تدريسها بما يمكن طلابها من التدريب الميداني في مواقع النشاط الاقتصادي والاجتماعي ومشروعاته، وحث القائمين على مواقع هذا النشاط إلى العمل على تيسير تدريب الطلاب واكتسابهم الخبرة العملية المطلوبة".

الخاتمة:-

في إطار تحديث برامج التعليم الجامعي اقترح في خاتمة هذا الموضوع مايلي:-
1- أن تتضمن برامج الدراسات العليا بالجامعات دراسات نظرية حول طرائق التعليم وتطبيقاتها العلمية.

- 2- أن ينص في لوائح وقوانين الجامعات على ضرورة الاعداد المهني للاستاذ الجامعي واعتباره شرطاً أساساً للالتحاق بالمهنة .
- 3- أن يشجع على الاتصال بين أساتذة الجامعات العربية وبينهم وبين غيرهم في الجامعات العالمية وذلك من خلال المؤتمرات والندوات العلمية لتبادل المعلومات والخبرات في التعليم الجامعي.
- 4- أن تنظم دورات مهنية اختبارية لفئات من أعضاء هيئات التدريس العاملين حالياً بالجامعات : ودورات اجبارية للملتحقين حديثاً بالمهنة.
- 5- أن ترتبط ترقية الاستاذ الجامعي بنتيجة تقويم نشاطه التدريسي.
- 6- أن تتضمن برامج النشاط الثقافي بالجامعات محاضرات مهنية مكثفة حول التعليم الجامعي ، مشكلاته وكيفية تطويره.

الهوامش:-

- 1- حسين عبد الفتاح ، اتقان اساليب التدريس الجامعي(مترجم) مركز الكتب الأردني عمان 1989.
- 2- عزت عبدالموجود،التعليم العالي واعداد هيئة التدريس الجامعي .بحث قدم في مؤتمر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي في الوطن العربي المنعقد في الجزائر،مايو 1981.
- 3- Broad Well,M.M. The Lecture Method of Instruction .New Jersey Educational Technology Publications Inc. 1980.
- 4- محمد يحي محمد خليل رجب، دراسة تقويمية لاساليب التدريس والتدريب المتبعة في بعض أقسام كلية الهندسة ، جامعة الفــــاتح ، رسالة ماجستير غير منشوره طرابلس 1986.
- 5- جريدة الاهرام 10-3-1992 ص8-10.
- 6- ممدوح محمد سليمان ،د معين حلمي الجملاني .دراسة تحليلية لاساليب تقديم المحاضرة بجامعة البحرين . مجلة اتحاد الجامعات العربية .العدد 23 - يناير(1988) ص(43-63).

